

ويكمل يونس الابن نسج الأسطورة في تلك القصيدة التي غناها وديع الصافي: «لبنان يا قطعة سما، عالارض ثاني ما إلا». والفكرة كان الابن قد عبّر عنها في قصائد أخرى له تتحدث عن قرب لبنان من السماء. وهذه الفكرة تفترض أن لبنان أعلى من كل بقاع الأرض قاطبة، والفكرة غير مُستغربة، وخصوصاً أن التغرّل بجبال لبنان يُفنع التلميذ اللبناني بأن جبال لبنان هي وحيدة، أو أنها أقرب إلى السماء - أو إلى الله لأن الفكر الوثني الأسطوري غير العلمي يفترض أن الإله أو الإلهة يقطنون في مكان ما في العلو. ثم لماذا يكون لبنان قطعة من السماء، ولا يكون الصومال أو المغرب (وللمغرب أشجار أرز، لكنّها لم تصب شعب المغرب بالمرض العقلي الذي أصاب الشعب اللبناني)؟ وهذا الاستثناء اللبناني يدخل ضمن العقليّة السياسيّة والشعبيّة اللبنانيّة. إن فكرة الاستثناء اللبناني كاملة في الاقتراح المتكرّر لميشال سليمان حول جعل لبنان مركزاً للحوار بين الحضارات، على أن يكون مقرّ المركز إما في باب التبانة أو في مسجد بلال بن رباح. والاستثناء هو الذي عناه يونس الابن في «عالارض ثاني ما إلا». وهو يوحي بأن إمكان وجود مثل لبنان في الكرة الأرضيّة من المستحيلات، مع أن إمكان وجود مثل لبنان في كواكب أخرى غير مُستبعد.

ويضيف الابن إن لبنان عبارة عن «لوحات الله راسماً». لكن الفكرة تتناقض مع فكرة الأديان بحد ذاتها. والابن كان مؤمناً بالدين المسيحي، وكان عليه أن يعترف بخلق الله لكل البلدان، إلا إذا أراد الابن أن يقول إن لبنان هو من خلق الله وإن باقي البلدان في العالم هي من خلق الشيطان. هذا ممكن.

لكن الابن يضيف طابعاً سياسياً على دور الله في لبنان، إذ يقول: «عالطامعين محرماً». أي أن لبنان لا يحتاج إلى استراتيجيا دفاعية، إذ إن الله يتكفل بحماية لبنان من الطامعين، مع أنه تخلف لأسباب خاصة به عن حماية لبنان في كل مفاصل الاجتياحات الإسرائيلية وفي مراحل الاستعمار الغربي، بدءاً من الحروب الصليبيّة.

لا داعي للاستفاضة في أشعار يونس الابن. المشكلة في الثقافة السياسيّة والشعبيّة في لبنان. لكن المشكلة تتفاقم: كانت الأيديولوجيا الفينيقيّة تحكم فكر حزب الكتائب الذي كان محصوراً بجزء من طائفة. لكن اتفاق الطائف ومشروع الحريري في لبنان عمّما أيديولوجيا الوطنيّة الفينيقيّة اللبنانيّة على كل الطوائف، وهي تصيب بأكثر من رذاذ الأبناء والبنات من الفريقيين في لبنان. قد يكون تحرير المواطن من هذا الفكر ممكناً، ولكن عبر تهديم بنيان الكيان من أساسه. الفضاء العربي - خصوصاً بعد زوال إسرائيل - رحب جداً.

\* أستاذ العلوم السياسيّة في جامعة كاليفورنيا (موقعه على الإنترنت: angryarab.blogspot.com)

زها السنيورة أخيراً بأنه تلقى دعوة لإلقاء محاضرة «من جامعة هارفرد» مع أن الدعوة أتت من القيادة اليمينيّة الصهيونيّة لجمعية متخرّجي جامعة هارفرد، أي أنه لا صفة أكاديميّة «بنوب» لدعوة السنيورة هذه. لكن مطلع القصيدة المذكورة يقول أكثر من ذلك: يقول إن الأرز سبق وجود الكون نفسه. وهذه الفكرة، أي التقديس الديني شبه الوثني للبنان، سائدة في الثقافة الشعبيّة. إن القول بأن الأرز سبق في وجوده وجود الكون هو إضفاء صريح للالهية على أرز لبنان. لكن هناك من يقول (ويغني أو تغني مثل صباح عن) «أرز الرب»، أي أن شجر لبنان هو خاض باله، لكن، لماذا لا يكون شجر الخروب أو الزيتون أو الإجاص خاص باله أيضاً، وخصوصاً أن الأرز لا يحمل ثماراً؟ ويضيف يونس الابن: «شاب الزمن والأرز باقي شب». أي أن الأرز مثل فكرة الله تعصى على الزمن.

مساعدي أوباما سيقطعون عليه اجتماعه كي يزودوه بالنص الكامل لبرقية زعيم الحزب التقدّمي الدرزي الجنبلاطي. إن المبالغة في تقدير حجم لبنان وأهميته في المداولات الدوليّة تدفع بزعمائه إلى تقديم الخدمات إلى مختلف الدول لظنّها أن خدماتها ستسمح لها بتقرير سياسات دول كبرى. عاد جنبلاط من زيارة قبل أشهر إلى موسكو، وعبر فيها عن خيبته من عدم قدرته على تغيير وجهة السياسة الخارجيّة لروسيا. بمعنى آخر، لم يفهم زعيم قرية المختارة كيف أن الرئيس الروسي لم يغيّر سياسات بلاده إكراماً له. وفي حقبة بوش، ظن فريق 14 آذار أن تحالفه الذبلي مع المحور الأميركي - الإسرائيلي سيؤهله ليلعب دور الصدارة في تقرير مصائر العالم. انتشى فؤاد السنيورة من تربيت جورج بوش كتفه، لظنّه أن التريبت رفع من مرتبته في السياسة العالميّة. (بالمنااسبة،

يدهش العالم مجدداً). لكن لبنان أدهش العالم عن حق بوحشيّة حروبه الأهليّة. وهناك تجليات سياسيّة وثقافيّة لفكرة هوس العالم بارز لبنان تظهر في الأخبار التي تزدهم تاريخياً على صفحات جريدة «النهار» عن نبوغ لبنان حول العالم، وهي تظهر في الفكر السياسي الذي أقنع الطبقة السياسيّة والشعب اللبناني على حدّ سواء بأن العالم كله يتابع تفاصيل الحياة في لبنان، وأن لبنان هو أولويّة على جدول أعمال كل الدول. وهي تتجلى في أخبار عرضيّة شبه يوميّة: ما معنى مثلاً أن يرسل وليد جنبلاط برقية إلى باراك أوباما يهنئه فيها على إعادة انتخابه، ويطلب منه فيها بعض الخدمات للبنان ومدّ الجيش اللبناني بالمعونة؟ هذا نتاج المس الذي أصاب العقليّة الشعبيّة اللبنانيّة. إن المس الذي يصيب العقل اللبناني في الصميم يوهم زعيم 80% من 5% من شعب البلد الصغير بأن



القول بأن الأرز سبق في وجوده وجود الكون هو إضفاء صريح للالهية على أرز لبنان (مروان بوهدير)

وهو رهان صائب لأنه خضع مراراً لاختبارات قاسية فتبدي صموداً مدهشاً، وتضحيات عظيمة وإصراراً لا يمكن أن تتال منه الجرائم والمعاناة التي كانت دائماً مقرونة بالتخلي والعجز والتواطؤ، أو حتى بالخيانة. لم يسقط الشعب الفلسطيني يوماً في اختبار الشهادة والدم والألام. وهو رغم الحصار والاسنزاف والانقسام، حاضر لتقديم المزيد من قربانين جدارته بوطنه وارضه وحقوقه، وخصوصاً منها حقه في العودة وفي إقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس. أنه الآن يدفع ثمن ما نعيشه من التردّي والعجز والتواطؤ والخلل والخيانة. لكنه، في الوقت عينه، يدافع عن حقوقه بمقدار ما يدافع في العمق عن حقوق الأمة وكل شعوبها في الحرية والكرامة والتقدم.

معركة غزة هي معركة كل فلسطين. ومعركة فلسطين هي معركة كل العرب. فهل سنقول في ضوء هذه الحقائق ومستلزماتها: حسناً فعلت إسرائيل من خلال عدوانها وتسرعها... بتسريع تحريرنا من العجز والخطأ والخلل والمهانة.

\* كاتب وسياسي لبناني

واخيراً وليس آخراً، فإن للصهاينة حساباً يحاولون تصفيته مع غزّة. فلقد شكلت موضوعاً كابوساً إسرائيلياً تمنى بسببه بعض القادة الصهاينة لو أنّ البحر يبتلعها. إنه كابوس مرتبط بالديموغرافيا أكثر من الجغرافية. وهو الآن، كما ذكرنا سابقاً، يضع الحركة الإسلامية الصاعدة (تنظيم «الأخوان المسلمين») في مهب اختبار مبكر لتطويع تلك الحركة لمصلحة السياسات الإسرائيلية في المنطقة والمصلحة المشاريع الأميركية، خصوصاً حبال الشرق الأوسط «الكبير» الممتد من موريتانيا إلى باكستان. ولا بد من الإضافة هنا، بأن القيادة الصهيونية، تراهن على الخلافات والانقسامات الفلسطينيّة. فلقد «صمدت» هذه الانقسامات التي باتت امراً راسخاً في خارطة الصراع الفلسطيني وصراعات المنطقة. ولم تفعل التطورات العربية الأخيرة سوى تعزيزها وتغذيتها بعامل عقائدي متصاعد في غير بلد ومنطقة وجبهة. في المحيطين العربي والإسلامي. فماذا عن ضحايا العدوان؟ لا شك أن الرهان ينعقد كالعادة على الشعب الفلسطيني: في غزّة وفي الضفة وفي الداخل وفي الشتات.

ما هو قائم من صراعات وانقسامات. وهي تريد اختبار تبدل الأولويات بشكل جدي، بعد ان أصبح هذا التبدل علنياً ومباشراً وحاداً، خصوصاً في مجرى الأزمة السورية التي تزداد تعقيداً وتفاقماً. فلم تعد فلسطين وجرحها وحقوق شعبها في البال وفي اليوميات إلا نادراً. ولقد بات الصراع المذهبي

## معركة غزة هي معركة كل فلسطين ومعركة فلسطين هي معركة كل العرب

والصراع الديني والصراعي الاثني هو ما يحتل الأولوية ويعبئ الطاقات والجهود والجنود والجيش؛ وفي مجرى ذلك، باتت إسرائيل حليفاً لا عدواً... حتى التكاذب في المناسبات أو في الاعلام لم يعد مطلوباً أو مستحباً.

دفعت سياسة الاستيطان الى مستويات غير مسبوقة. وكذلك فهي قد بلغت من العطرسة، أنّها قد هدّدت على لسان احد ارهابيها، وزير خارجيتها، بإلغاء اتفاق «أوسلو» نفسه. أي أنها هدّدت بإلغاء الشكل الحالي، الإداري فحسب، من السلطة الفلسطينيّة، فكيف بالموافقة على إقامة دولة فلسطينية «قابلة للحياة» على الأراضي الفلسطينيّة المحتلة في «النكبة» الثانية عام 1967.

واسرائيل تريد الى ذلك ان تختبر عدة مواقف في الوقت نفسه: الموقف الأميركي بعد ان فاز الرئيس باراك اوباما بولاية ثانية، خلافاً لرغبة وجهود رئيس الحكومة الإسرائيلية الذي جاهر بدعم المرشح الجمهوري ميت رومني. وهي تطرح ففاز التحدي أيضاً في وجه القيادة المصرية الإخوانية: في مدى التزامها بالوعود وبالمعاهدة وبالعلاقات مع اسرائيل وهي وعود وعهود قطعت لواشنطن، ولاسرائيل بشكل مباشر أو غير مباشر، ثمناً لدعم وصول «الأخوان» الى السلطة في اكثر من بلد عربي...

وقبل كل ذلك وبعده، فإن القيادة الإسرائيلية تسعى، سريعاً، لأن تستثمر الى الحد الأقصى